[1]مستقبل الكتاب الورقي وآفاق النشر الرقمي

الدكتور صالح أبوأصبع

التنبؤات حول النشر الورقي والإلكتروني لا تثير سؤالا واحدا فحسب، بل تثير مجموعة أسئلة أكثر مما تعطي اجوبة. فهو يسمح لنا بان نتساءل:

- كيف كان الكتاب في الماضي؟
- وما هو واقع الكتاب اليوم؟ ثم الى اين يتجه مستقبل الكتاب؟
- وهل سيتعايش النمطان أو هل سيكون المستقبل سيطرة نمط مقابل نمط آخر؟
- لماذا يفضل القارئ الكتاب الورقي أو الإلكتروني او المسموع؟

في وقت مبكر(عام 1999) قامت مايكروسوفت بالتنبؤ بمستقبل الكتاب الإلكتروني وحددت الخطى المستقبلية لصناعة الكتاب الإلكتروني من عام 2000 – حتى عام 2020 ، وما يلفت الانتباه في تنبؤات مايكروسوفت أنه في عام 2004 ستظهر الكمبيوترات اللوحية مع إدخال الكتابة اليدوية للكتاب الإلكتروني ، وفي عام 2010 سينخفض وزن أجهزة الكتاب الإلكتروني وسيحتوي ما يقارب المليون كتاب ، وفي عام 2012 سينافس الكتاب الإلكتروني نظيره المطبوع بقوة ، وفي عام 2018 ستنشر الجرائد الرئيسية آخر أوراقها وتكتفي بالنشر الإلكتروني ، وفي عام 2019 ستصبح الكتب المطبوعة رائجة فقط لنخبة معينة من الذين ما زالوا يفضلونها ، وفي عام 2020 سيكون 90% من الكتب المطبوعة مباعة إلكترونياً وسيتغير تعريف الكتاب إلى " نص من الكتابة المعروضة على كمبيوتر أو جهاز عرض شخصي ".

ومن يراجع التطورات الحاصلة حالياً سيجد أن كثيراً من هذه التنبؤات صارت واقعاً، إذ انتشرت الآن الأجهزة اللوحية مثل الاي باد ونظائره التي تغمر السوق وأصبح جهاز الهاتف الذكي المحمول وسيلة عرض للكتب الإلكترونية، ونجد أن كثيراً من الصحف الورقية توارت عن الصدور مثل جريدة السفير اللبنانية ومجلة الآداب البيروتية التي أنشأها د. سهيل إدريس وصدر عددُها الأوّل سنة 1953 وتوقفت عن الصدور ليتم نشرها إلكترونياً سنة 2015. ولكن النبوءة عن اختفاء الكتاب الورقي ما زالت بعيدة عن التحقيق.

- **النشر في الوطن العربي:**

على الرغم من زيادة حركة النشر للكتاب المطبوع في الوطن العربي إلا أننا لا نجد أرقاما دقيقة وشاملة عن حركة النشر العربي للكتاب المطبوع أو الالكتروني او الصوتي في الوطن العربي وحتى أن الأرقام المتوفرة

1 مجلة الناشر – الشارقة 2017

هي إحصائيات قديمة لا تحقق الهدف إذ نجد أن تقرير حركة النشر في العالم العربي 2011 صدر عام 2014 كان إصدارا يتيما عن النشر في الوطن العربي.

وقد أشار كاتبا التقرير إلى الصعوبات التي واجهتهما في إعداده وشكواهما من قلة المعلومات التي حصلا عليها ولذا لجأنا الى الاعتماد على إحصاءات أميركية وبريطانية صادرة عن رابطتي الناشرين في كليهما وعلى الدراسات الحديثة لمركز أبحاث بيو Pew Research Center حول النشر المطبوع والالكتروني.

- **أسعار الكتب الإلكترونية تهدد الكتاب المطبوع:**

عصفت الكتب الإلكترونية بعملية النشر في أعوام 2009 -2011 حيث كانت نتائج انتشار الكتب الإلكترونية مرتفعة مقابل الكتب المطبوعة. وبات الأمر يبدو تهديدا للكتب المطبوعة وكأنها تسير في طريقها إلى الاختفاء لحساب الكتب الإلكترونية. ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلا. كلا الشكلين لهما مزاياهما وعيوبهما مما يجعل وجودهما معا أمر لا مناص منه. مع الاخذ في الاعتبار ان كل شكل قابل للتكيف ، ولديه ما يقدمه في خضم المنافسة بينهما، وخصوصا ما يتعلق بتسعير الكتاب الذي يعتبر أمرا هاما في عملية التسويق.
ولذا تحتاج صناعة النشر إلى إعادة تقييم التسعير، للكتاب الورقي والكتاب الإلكتروني على حد سواء. وكما نعرف فالكتب الإلكترونية أقل تكلفة في الإنتاج من الكتاب الورقي وبالتالي يكون سعرها أقل. ولم يستطع النشر التقليدي حتى الان استيعاب العالم الرقمي. وخاصة أنه ما زال يستخدم أساليب تسعير الكتاب القديمة التي تحتاج إلى إعادة النظر ليكون منافسا. فالقارئ مثل أي مستهلك يريد منتجا جيدا بسعر منخفض. وانخفاض الأسعار شيء أساسي في قرارات القراء. وحينما يتحقق السعر المناسب بالنسبة للقارئ وللناشر آنئذ يمكن أن تتعايش عملية النشر الورقي والالكتروني معا.
والمقارنة بين خصائص لكتاب الورقي والكتاب الإليكتروني يمكنها أن ترشدنا إلى ميزات وعيوب كل منهما . وهذه الخصائص تجعل لكل نوع ميزاته التي تجعله قابلا للبقاء والانتشار (والمقال لا يتسع للقيام بذلك).

- **النشر البريطاني زيادة في المطبوعات الورقية وانخفاض في الكتب الالكترونية:**

وتظهر الأرقام الصادرة عن رابطة الناشرين البريطانيين أنّ عام 2016 كان عاما قياسيا بالنسبة لصناعة النشر حيث بلغت مبيعات الكتب والمجلات 4.8 مليار جنيه استرليني، وهي أعلى مستوياتها على الإطلاق. وتمثل الزيادة في المبيعات 7٪ عن العام السابق وهو أكبر نمو في عقد من الزمان منذ أدرجت مبيعات الكتب الرقمية لأول مرة في عام 2007. وقد تأثر نمو الصناعة بالنجاح سواء في الداخل أو الخارج، حيث

ارتفعت مبيعات التصدير بنسبة 6٪ لتصل إلى 2.6 مليار جنيه استرليني وأصبحت الآن مسؤولة عن 54٪ من إجمالي الإيرادات.

وتشمل الأرقام ما يلي:

• ارتفعت المبيعات الرقمية الإجمالية بنسبة 6٪ إلى 1.7 مليار جنيه استرليني على الرغم من استمرار انخفاض مبيعات الكتب الإلكترونية بنسبة 3٪

• ارتفعت المبيعات الكتب الورقية بنسبة 8٪ لتصل إلى 3 مليار جنيه استرليني في العام الماضي لتصل إلى أعلى مستوى لها منذ عام 2012

- **في الولايات المتحدة : انخفاض مبيعات الكتب الإلكترونية ونمو مبيعات الكتب الورقية والمسموعة :**

وإذا انتقلنا إلى حركة النشر الأميركية يمكننا تتبع بيانات المبيعات لأكثر من 1200 ناشر أمريكي من خلال تقرير رابطة الناشرين الأمريكية إذْ يشير أحدث تقرير ربع سنوي لاتجاهات تجارة الكتب الأميركية حسب نوعها في الربع الأول 2016 مقابل الربع الأول 2015 .إلى أنه انخفضت إيرادات الناشرين بنسبة 3.0٪ في مارس 2016، و 2.7٪ للربع الأول من عام 2016 لتصل إلى 2.14 مليار دولار مقارنة بالأشهر الثلاثة لنفس الفترة في عام 2015.
. وانخفضت مبيعات الكتب التجارية بنسبة 7.4٪ لتصل إلى 1.37 مليار دولار في الربع الأول بسبب الانخفاض في أكبر الفئات، كتب الكبار(-10.3٪) والأطفال / (-2.1٪). . ويعود هذا إلى انخفاض مبيعات الكتب الإلكترونية بنسبة 21.8٪.
ولكن كانت هناك نقاط مضيئة في الكتب المسموعة والمبيعات الورقية التي نمت 35.5٪ و6.1٪ على التوالي ..و في الربع الأول ارتفعت مبيعات الكتب الدينية والمواد التعليمية لكل من الروضة وحتى الصف الثاني عشر والتعليم العالي.

- **قراءة الكتب المطبوعة الأكثر انتشارا:**

إذا انتقلنا من عالم النشر إلى عالم القراءة فإن ما تقدمه الدراسة المسحية لمركز أبحاث بيو Pew Research Center التي أُجريت في أبريل 2016 يعطينا رؤية لواقع نوعية قراءة الكتب إذْ وجدت الدراسة **أن الكتب المطبوعة لا تزال أكثر شعبية من الكتب الإلكترونية أو الكتب السمعية**

وجدت الدراسة أنه يُتاح للأميركيين اليوم -أكثر من أي وقت-مجموعة هائلة من المحتوى، وهذه المواد متوفرة في عدد من الأشكال ومن خلال مجموعة من الأجهزة المتصلة رقميا. ومع ذلك، مع توسع عدد الطرق التي يقضيها الناس وقتهم، بينت الدراسة أن حصة الأمريكيين الذين قرأوا كتابا في الأشهر ال 12 الماضية (73٪) ظلت دون تغيير إلى حد كبير منذ عام 2012.

وعندما يصل الناس لكتاب، فمن المرجح أن يكون كتابا مطبوعا أكثر من المنتج الرقمي. 65٪ من الأمريكيين قد قرأوا كتابا مطبوعا في العام الماضي، أي أنها تمثل أكثر من ضعف حصة الذين قرأوا كتابا إلكترونيا (28٪) وأكثر من أربعة أضعاف الحصة التي استهلكت محتوى الكتاب الصوتي (المسموع) (14٪). وارتفعت قراءة الكتب الإلكترونية بنسبة 11 نقطة مئوية بين عامي 2011 و 2014 (من 17٪ إلى 28٪) ولكنها لم تشهد أي تغيير في عام (2015-2016). وبالمثل، فإن حصة البالغين الأميركيين الذين يستمعون إلى الكتب السمعية قد تغيرت بشكل هامشي فقط في 2011 -استمع 11٪ من الأميركيين إلى كتاب صوتي وفي العام الماضي، 14٪

▪ كلمة أخيرة

من خلال الأرقام التي وردت حول هبوط نشر الكتاب الالكتروني وصعود نشر الكتاب الورقي وتفضيل القراء لقراءة المطبوع على قراءة الكتب الإلكترونية أو الكتاب الصوتي (المسموع) فهذا يعني أن الكتاب المطبوع سيظل منافسا قويا للكتاب الالكتروني والمسموع.

نحن نعلم أن لكل نوع من هذه الكتب خصائصها التي تجعلها مفضلة في جانب بينما يعوزها خصائص أخرى موجودة في الأنواع الأخرى من أشكال الكتب. وهذا يعني ان أشكال الكتب الثلاث المطبوعة والإلكترونية و الصوتية ستعيش معا وستحد لها زبائنها .

وفي الوطن العربي نجد أن هناك العديد من المواقع التي توفر الكتب الالكترونية بصيغة (PDF)وهناك عشرات الالاف من الكتب المتاحة مجانا أو المقرصنة على تلك المواقع ولكن معظمها كتب تراثية ودينية.

ومكتبة الكتاب الصوتي (المسموع) هي تجربة متواضعة للغاية في الوطن العربي وأبرزه تجربة المجمع الثقافي في أبو ظبي. وما زال القارئ العربي يفضل الكتاب الورقي حتى وعند لجوئه إلى الكتاب الالكتروني فإنه يقوم بطباعته كي يقرأه.

ومع مستقبل الكتاب الورقي نرتحل لنتابع المشروع الذي أطلقته دبي عام 2016 وهو مشروع تحدي القراءة العربي حيث كان حصيلته أن ثلاثة ملايين ونصف طالب وطالبة من الوطن العربي اشتركوا في المسابقة وقرأوا خلال العام الدراسي مائة وخمسين مليون كتاب ورقي، فإن هذا مؤشر إلى أن مثل هؤلاء التلاميذ مرتبطون بالكتاب الورقي وسيرتبطون به مستقبلا.